٢ ـ الجواهر الحسان فى نظم أولياء تلمسان

ليس لهذا الكتاب موضوع محدد ، وليس له كذلك مؤلف تنسبه له وترده اليه ولو أن محققه عبد الحميد حاجيات الأستاذ فى كليـــة الآداب بجـــامعة الجزائر قد أظهره بما يدل على أن مؤلفه هو الشيخ الصـــالح أبو مدين شعيب ٠

وسر اسناد هذا الكتاب الى أبى مدين أن جامعه قد صدره بزجـل وتوشيح ثم بثلاثة أزجال وتوشيح للسيد أبى مدين ٠

وأبو مدين هـــذا هو الولى الشهير أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصارى ٠ أصله من ناحية أشبيلية بالأندلس ، ولما شب عن الطوق رحل الى المغرب ودخل فى طريق الصوفية ، وقد اشتهر أمـره ببجـــاية وكثر تلاميذه بها وأقبل عليه الناس فيها التماسا لعلمـــه وبركاته واقتـــداء بطريقـــه ٠

وفى سنة ٥٩٤ هـ استدعاه يعقوب المنصور الموحدى الى عاصمته مراكش فرحل فى اتجاهها ولكنه مرض فى طريقه وتوفى قرب تلمسان فدفن بضاحيتها [العبـــاد] ٠

هذا عن أبى مدين الذى ظهر الكتاب باسمه ٠

أما جامعه الذى جمعه وعنونه فهو الأديب التلمسانى محمد بن محمد امرابط ٠

وقد ذكر أنه جمعه بطلب من المستشرق الفرنسى بروصلار الذى كان يشغل منصبا ساميا بتلمسان على عهد الاحتلال الفرنسى للجزائر ٠

واذا كنا لا نعرف شيئا عن محمد بن محمد امرابط هذا ، فاننا نعرف عن بروصلار أنه كان مهتما غاية الاهتمام بدراسة تاريخ تلمسان وآثارها الاسلامية ٠

ومن حسن الحظ أنه كان مهتما كذلك بالأدب الشعبى وبالموســيقى المغربية ذات الطابع الأندلسى ٠

ومن هنا جاء طلبه أو صدر أمره بأن يجمع له محمد بن محمد امرابط بعض المختارات المشهورة من ذلك الشعر الذى جـــرت عادة الناس فى تلمسان بتلحينه وانشاده فى حفلاتهم الدينية والاجتماعية . وقد قام محمد بالمهمة التى وكل اليه القيام بها خير قيام :

فجمع هذا الديوان ونسخه بخطه الواضح الجميـل فى رمضان سنة ١١٧١ هـ الموافق شهر يولية سنة ١٨٥٥ م وسماه :

[الجواهر الحسان فى نظم أولياء تلمسان]
وهو موجود فى المكتبة الوطنية بباريس ضمن المجمـوع رقم ٥٢٥٤ [القسم العربى] .

والكتاب فى جملته من الأدب الشعبى الذى كان متداولا على الألسن أواسط القرن الماضى فى جمهورية الجـــزائر بعامة وفى ولاية تلمســـان بخاصة ، ولو أن محققه الفاضل قد وسع دائرته بقوله فى مقدمته : ـ

« ولا يخفى على القارىء الكريم أن الانتـــاج الأدبى المودع فى هـذا المجموع يرجع الى تراث ثقافى مشترك بين سائر الدول العربية ، فكثير من الموشحات والأزجال الواردة فيه معروفة فى المغرب والمشرق العربيين ، مع اختلاف خفيف فى الروايات .

ولهذا رأينا ضرورة نشره ليطلع الجمهور المغربى بصفة خاصة والعربى بصفة عامة على نفائس من أدبنا الشعبى ، ولتصبح هذه النصوص المتقاة فى متناول هواة الموسيقى الأندلسية المتعطشين الى هذا النوع من ثقافتنا العربية » ص ٨ ـ ٩ .

***

ومهما يكن من أمر هذا المجموع فانه ينقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية :ـ

القسم الأول : المدائح النبوية من ص ٢٣ الى ص ١٠٤ .

والقسم الثانى : الموشحات والأزجال الأندلسية من ص ١٠٥ الى ص ٢٨٢ .

والقسم الثالث : الحوازى . والحوازى جمع حـوزى ، والحـــوزى فى اصطلاح المغنين والموسيقيين والأدباء المغاربة هو الشعر

المنظوم باللغة الدارجة حسب أوزان خاصة تخالف أوزان الموشحات والأزجال ، وبعبارة أخرى هو الشعر الملحون ·

وقد شغل هذا القسم الصفحات من ص ٢٨٣ الى ص ٣٩٧ ، وبعد ذلك صفحتان مصورتان ثم المراجع والفهارس الى ص ٤٢٧ وهى آخر صفحة فى الكتاب ·

***

والآن · مع كل قسم من هذه الأقسام فى دراسة موجزة تعريفاً بها وتمثيلا وتعليقاً عليها ·

***

القسم الاول

وموضوعه :

المديح النبوى والتهويم الصوفى

وهو يبدأ بجملة من كلام شيخ العارفين وقدوة الصالحين سيدى أبى مدين الغوث . سبق أن قلنا : انها موشحتان وأربعة أزجال ، ولو أن ثمة شك فى نسبة بعض هذه الأزجال اليه ، فهى توجد فى ديوانه كما توجد فى ديوان الشاعر الصوفى أبى الحسن على النميرى الششترى المتوفى سنة ٦٦٨ هـ [انظر ترجمته فى عنوان الدراية ص ٢١٠]

ثم ثلاث قصائد وزجل واحد للسيد أحمد الجلبى

وقصيدة وزجلان للأديب الداودى الفروى ·

وأخيرا أربعة أزجال طوال من كلام سيدى أبى جمعه وهو من أولياء تلمسان المشهورين بها ، وقبره فيها عند باب كشوطة المسمى الآن باسمه ·

***

والموشحان المنسوبان الى أبى مدين يمتازان بأن لغتهما صحيحة ان لم تكن فصيحة ·

أما الزجل المسلم له به . والأزجال الثلاثة الموجودة على الأعراف بينه وبين الششترى فتتردد لغتها بين الفصحى والعامية ·

من موشحته الأولى هذا البيت مع المطلع : —

أنت بما قد سَقَيْتَ شارِبْ من راحق كان أو كدر
سهمُكَ فى الغير فيك صائبْ مالك عن نصله مفر
ثمارَ ما قد غرستَ تَجنى وهذه عادة الزمان
خذ الحديث الصحيح منى كما يدين الفتى يُدان
من بات منه الورى فى أمن بات من الدهر فى أمان
الدهر بحر له عجائب وهو خطيب لمن نظر
فاطرح الغىَّ عند جانب وخذ على نفسك الحذر

***

وواضح أن موضوع هذا التوشيح هو الحكمة ، وهـــو نظـم للآية القرآنية الكريمة « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ٠

مع الأخذ فى الاعتبار أن رد الفعل الذى رصده صاحب التوشـــيح معجل لصاحبه فى الدنيا ، أما الآية الكريمة فعامة تشمل الدنيا والآخرة ٠

وهذا التوشيح ثلاثة أبيات ، والغالب فى التوشيح أن يكون خمسة وله مطلع أى أنه غير أقرع

وهو من مخلع البسيط ووزنه
مستفعلن فاعلن فعولن مرتين

***

والتوشيح الثانى لأبى مدين بعنوان :

[ركبت بحرا من الدموع]

وهذا هو مطلعه وبيته الأول :

ركبت بحـرا من الدمـوعِ ... سُـفنتُه جسمىَ النحيـلْ
فمـــزقتْ ريحُـــه قـاوعى ... قـد عصفت ســاعةَ الرحيلْ
يا جـــيرة خـلّفتْ عيـــونى ... تجـــرى على الغـد كالعيون
خَيَّبتمْ فى الهـوى ظنـونى ... ما هـكذا كـانت الظنـــون
مُنتُـوا ولا تطلبـوا مَنُـونى ... فان هِجـــرانكم مَنُـــون
وجملـوا الـدار بالرجـــوع ... وبرِّدوا لوعـــة العليـــلْ
وســامحوا الطرف بالهُجـوعِ ... وقصّـــروا ليلىَ الطـــويلْ

ومعنى البيت واضـح ولو أنه من الأدب الرمزى ، فهو يرمز بتمزيق الريح لقلوعه الى عصف أهوائه به فى أول عهده بالتصوف ، لكأنه ينبـــه المريدين الى مشقة المرحلة الأولى من مراحل الطريق وهى التوبة وجهـــاد النفس والتغلب على ما ينتابها من خواطر ونزعات دنيوية ٠

***

ونلاحظ أن قافيتى الشطرين الأول والثـــانى فى الغصن من المشترك اللفظى :

فـ [عيونى] قافية الشطر الأول : جمع عين وهى الباصرة و[كالعيون] قافية الشطر الثانى : جمع عين وهى عين المـــاء يريد أن يقول : ان دموع عينى تحاكى فى غزارتها الينابيع ٠

وهذا الموشح أربعة أبيات وله مطلع وخارجة ، وهو ـ كسابقه ـ من مخلع البسيط ٠

***

ومن زجله المسلم له به وهو بعنوان :

[دارت علينا كيوس]

دارتْ علينـــا كئيـــوس ... مـــن خمـــــرة العـــــالى
ولا تطيـــب النفـــــوسْ ... الا بأمثـــــــــــالى
دارت علينـــا كيـــوس ... فى حضـــرة المحبـــوب
واهنـــلَ المعـــانى جثـــوس ... ومَـــنْ دخـــل يَشْـــرَبْ
ولا تطيـــب النفـــــوس ... الا لمـــــن يَقْشـــــرَبْ
بحـــرَ المعـــانى نَغْـــوص ... هَـــذَاكْ هُـــوَ حـــالِى
ولا تطيـــب النفـــــوس ... الا بأمثـــــــــــالِى

ص ٢٥ ـ ٢٦

فى الأصل [البالى] والمعنى به لا يستقيم ، فالبالى هو خمر الدنيا ، أما الخمر المراد هنا وفى كل ما سيأتى بهذا القسم ، فالمقصود به انما هو التفانى فى العبادة من ذكر وزهد وصوم وتهجد ٠

والمحبوب هو الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

واصرارد على أن النفوس لا تطيب الا به وبأمثاله ، من باب احساس الولى بنفسه واغراء الناس بطريقه ، فهو حض لهم على اتباعه وسلوك سبيله،

ولا يصح أن نحمله محمل العجب بنفسه ، والادلال على الله وعلى النـاس بصلاحه ٠

وفى الزجل نوع من التجريد نتمثله فى قوله :

[أهل المعانى] وفى [بحر المعانى] ٠

كما أن فيه اغراء بالوسيلة وهى الدخول فى الطريق ، وتبشيرا بالغاية وهى القرب من الله الى درجة الالتصاق به والاعتناق له والفناء فيه ، وعلى حد قوله: « كل حقيقة لا تمحو أثر العبد ورسمه فليست بحقيقة » [عنوان الدراية ص ٦٤] ٠

وهذا المثال ـ وهو من الزجل المتردد بينه وبين الششترى لأنه موجود فى ديوانيهما ـ يؤكد حرصه على تحقيق هذه الغاية بأية وسيلة ، بل يثبت أنها قد تحققت له ٠

قال :

آنـا يهـواه وهـو يعشقنى ... سـلموا حـالى
سـقانى لمـا بدأ أنشقنى ... نشـرَه الغـالى
هـو لى رُوح" أقام البـدنا ... هـو فى سـرّى
لا تعـوموا تغـرقـوا فى بحرنا ... ذاكَ هـو بحـرى

ص ٣٣ ـ ٣٤

وترتفع حرارته الصوفية فيدخل أكثر وأكثر فى الذات الالهية الى حد الفناء فيها والفناء الثنائية بينه وبينها ، وهى هى نظرية الحلول التى عبر عنها أحد الصوفية ـ ولعله الحلاج ـ بقوله : « ما فى الجبة الا الله » ٠

أصغ الى قوله :

قلت انى أبـدا أعشَـقـه ... وهـو لى يَعشَـق
وأنـا مغـربـه مَشـرقه ... وهـوَ بِى أشـرَق
فى ثنـاياه ومن يلحقـه ... انمـا هـو الحـق

نو تروا حـــين تدلّى قـدنا ســـــــاعةَ الذكـــــر
ومحـت وحـــــدتنا اثنتنـا واختـــــفى ســـــــوى
ص ٣٤

ونضع خطا تحت البيت الأخير ، فهو ذروة التصريح بالوحدة القائمة بين العبد وربه ٠

***

وننتقل الى كلام السيد/ أحمد الجلبى رحمه الله وهو ثلاث قصـــائد وزجل واحد ٠

وقد جاءت قصائده باللغة الفصحى ٠
أما زجله فيتنزل عن ذلك قليلا ، ربما كثيرا ٠

قال من قصيدة :

[صل يا ربى على من نوره]

صَـــــــلِّ يارَبِّى على مَنْ نوره
يتجلى مستطيـــــلا فى الحَلَكْ٠
يا حبيبـــــاً فى ضلوعى قـد سَلَكْ٠
مَسلكَ الروحِ وقلبى قد مَلَكْ٠
كلمـــا أَلَفيتُ فى قلبِ الحشـــــا
مـــن مآوى ومثـــاوى فَهنىَ لكْ٠

والبيتان ١ ، ٢ معناهما واضح ، أما البيت الثالث فمعناه :

روحى لا تحب سواك ولا تعلق لها الا بك ٠

***

ومن زجله الذى عنوانه [مرحبا شهر التهام] ٠

بقصد التهامى وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، نسبة الى تهامة وهى قريش أو مكة ، وشهر التهام هو شهر ربيع الأول ٠

قال :

مرحبا شهرَ التهام ... مولدَ خير الأنام
صاحب الحُسْنِ العجيبْ ... الشفيع يوم الزحام
الرسول طه الحبيب

حينْ أتى زين الملاح ... قد أتانا بالصلاح
وتَمَّ العيش الخصيب ... هو باب للنجاح
بغيتى طه الحبيب

من ٥٩

ولا تعليق لنا سوى قولنا : انه زجل ضعيف فنيا ٠

***

وبعد الجلبى نلتقى بالولى الأديب سيدى الداودى الفروى وقد شارك فى هذا المجموع بقصيدة وزجلين ٠

أما القصيدة فقد صدرها بقوله ،

صل يارب على من فضله
يتجلى للورى يوم التلاقى
ياحبيبا طال عنى بالفراق
ما الجفا يصلح بى بعد التلاقْ
ان دمع العين بالحب جرى
فوق خدى واتنفى طب المذاق

وهى قصيدة تأتى فى الدرجة الدنيا من السلم البلاغى ·
ولا يفضل زجله شعره ، بل انه يتدنى عنه الى ما تحت الصفر ·

قال :

يا قومُ اوتَحِشْ قلبى بمحبـــوبى
سُلطانُ المعاشـقِ سـيِّدِ الأمَّـا

أملكنِى الهــوى وكثَرْت انحُوبى
ودمعَ الجفونْ تَهمُطَل كهطل الما

ايمتَا تنظروا ونَشْفِى مرغُــوبى
يَهنَا حاطِرى وأتزولْ ذا الغُمَّـا

ونشــفى الغــرامْ فى خــير الأنــامْ
ونبلـغْ مقــامْ السـادات الـكرامْ

ص ٦٧ ـ ٦٨

ومع أن هذا الزجل غير موزون ، وكان منتظرا ـ والحالة هذه ـ أن يكون واضحا لعـدم تقيده بوزن معين ، الا أنه كله أو بعضه فى حاجة الى توضيح ·

فعبارة [اوتحش قلبى بمحبوبى] تعنى أن محبوبى قد وحشنى ، وأن قلبى قد اشتاقه ·

و [سيد الأما] أى سيد الأمم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ·

أما [املكنى الهوى] فمعناها : ملكنى الهوى وصرت أسيره ·
و [كثرت انحوبى] معناها : كثر نحيبى وتعددت مراثه ·
و [المـا] قصر للماء الممدود
و [ايمتا] معناها : متى
و [السادات الكرام] هم الزهاد المتصوفون ·

***

ونصل الى أبى جمعه المدفون بتلمسان ، وقد قلنا ان قبره بها أحد مزاراتها وأن اسمه علم على حى من أحيائها وليس له فى مجموعنا سوى زجل **واحد أوله :**

يا ليلةً جاءت بانشراح صباحُها أفضل صباح
يا ليلةً جاءت بالسرور صباحُها يُسلِى الصدور

ومنه :

لما بدا ضوءُ النهار والصُّبحُ أشرق واستنار
هبَّ النسيم فاحَ الزهر والياسمين اعبَقَ وفَاحَ
والوردُ والسَّمسَمَان فَتَّح

ص ٧٨ ـ ٧٩

وهو من بحر الرجز ووزنه
مستفعلن مستفعلن مرتين

أما أحمد التريكى وهو آخر أدباء هذا القسم ، فيظهر أنه كان من الظرفاء أكثر منه من **الأولياء** .

ولد بتلمسان أواسط القرن الحادى عشر الهجرى وتوفى أوائل القرن الثانى عشر . نبغ فى نظم الحوزى ، ولما كثر غزله ـ ولعله كان غير عف ـ ضاق الناس به ، وطالبوا السلطات باخراجه من المدينة ، فأرغمته على الهجرة الى [وجدة] حيث عانى آلام الغربة والشوق الى الأحباب .

وقد استفاد الأدب من ذلك ؛ فقد نظم أحمد فى غربته أروع شعره .

ونجد له فى هذا القسم ثلاثة أزجال ، هذا مطلع آخرها :

نِلتَ الغرام بالله حادى القِطار
قِف لى بتلك الديار واقرا السَّلام
سلِّم على عَربَ نَجدِ واذكر صَبَابَتى ووجدى
كَيف يُلام من بادرته الدموع
شوقا لتلك الرُّبوع مع المُقَام

ص ١٠٠

وواضح انه فى هذا الزجل له يتحرق شوقا الى مهبط الوحى . ويتمنى لو ذهب اليه وعاش فيه ٠

***

بهذا ينتهى القسم الأول من الكتاب ، وهو - كما رأينـــا - فى مدح الرسول وتمجيده وفى الترحيب به وبشهر ربيع الذى أطلعه ، وقد رأينـا قطبه أبا مدين وهو يدخل فى ضمير الله ، أو على الأقل يقف وراءه بحيث لا نراه ٠

* * *

القسم الثـــانى

الموشحات والازجال الاندلسية

وهو يشتمل على ست وخمسين قطعة ، منها خمس وأربعون مجهولة القائل ، وأحدى عشرة منسوبة الى اصحابها **وهم أقل منها عددا**

وهذا بيان بهم وبأعمالهم حسب مجيئهم فى المجموع :

ابن سهل الأندلسى وله توشيحان ص ١٠٧ ، ص ١١٣

الاعمى التطيلى وله توشيح واحد ص ١٤٩ وخمسة أزجال من ص ١٥٣ الى ص ١٦٤ .

لسان الدين بن الخطيب وله توشيح واحد ص ١٦٥ ـ ١٦٩

الموصلى وله توشيح واحد ص ٢٢٥ .

محمد بن أخضر وله حوزى واحد ص ٢٧٢ .

وحق هذا الحوزى أن يكون فى القسم الثالث

***

ومن الطبيعى ألا يكون لهذا القسم موضوع معين أو اطار محدد .

فموشحاته تعالج الموضوعات التى تعالجها الموشحات غالبا وهى الغزل القائم على ذكر محاسن المحبوب ووصف ما يلاقيه المحب من شوق ولوعة ، ثم وصف الطبيعة غاية أو وسيلة يجعلها برواز لفاتن المعشوق .

وأزجاله متعددة الأغراض مختلفة القاصد

وما لاحظناه فى القسم السابق نلاحظه هنا ، وهو أن لغة الموشحات فصحى أو على الأقل سليمة .

أما الأزجال فعلى العكس من ذلك ، وغالبا ما تأتى ملحونة وفى منزلة وسطى بين الموشح والحوزى بل قد تكون لغتها قريبة من لغة الحوزى ولعله ـ لهذا اشتبه الأمر على محمد أمرابط جامع الكتاب ، فوضع حوزى ابن أخضر فى هذا القسم ، ص ٢٧٢

***

ولا طاقة لنا هنا على عرض هذه الأزجال وتحليلها واستخـــلاص خصائصها الفنية ، فهى كثيرة كثرة مفرطة ، وتمثل ـ فى هـذا القسم ـ أغلبيـة ساحقة ويتأكد ذلك أكثر حين نذكر أن عددها ثمانية وثلاثون زجـلا من مجموع الأعمال الأدبية فيه وهى ـ كما ذكرنا ـ ستة وخمسون ·

ولن يمنعنا ذلك من التجوال فيها والتمثيل لها وذكر بعض أغراضها ·

ولنبدأ بأولها الذى يفتتحه صاحبه المجهول مصنعا بترتيب أبياته على أحرف الهجاء هكذا :

ألِفْ : ألِفْتَ البُـــكا بعد الحبيبْ

الثّا : ثيابْ حَسمنى نحيلْ اصنفِرار

الثّا : ثَرى دمعى دماً يَجرى سكيبْ

الثّا : ثيابْ جَسمى نَحيلْ اصْفِرارْ

الجيم:جِمارى فى الحَتسا شَعلَتْ وقود

الحا : حَرمْ مَن مُقلتى جيشْ الكرى

الخا : خَشيتْ واشْتَفا وفيّا العسود

الدال : دابْ جَسمِى وفى قَلبِى جَمرا

الذال : ذقتْ مَن الجَفا كأسَ الصُدود

الرا : رويتْ منَ الهَوى ذُلّ الورى

ص ١١٧ ـ ١١٨

وواضح أن موضوعه انما هو وصف حال المحب وما يعانيه فى سبيل محبوبه من أسى ولوعة ، أما معانيه فمتكررة ·

***

وهذا زجل ماجن عنوانه :

[املاكيوس الخلاعا]

يقول صاحبه فيه :

امْـلا كيـوسْ الخِـلاعَا تَستغنِمُوا أيامَ السُّرورْ

الدهرْ سَـاعَا بِسَـاعَا اغنَم زمانَـكْ لا يَدور

اغنَـم زمـانَك بواجب افرحْ واسكَر مع الحبيبْ

فى روض باهى الذوائب والطيرُ مِنْ فوقَ القضيبْ
بالكيتَرا والربَائِبْ والزنجَ والنَّقْر العجيبْ
أمُّ الحَسَنْ فى ارتفاعَا تَفْخَرُ على جَمْعَ الطُّيورْ
تغنيك عن جَمْعَ الصَّنَاعَا وتَلْهَمَكْ للكاسْ يَدورْ

ص ١٣٦ — ١٣٧

والزجال هنا خيامى النزعة فهو يدعو الى الخلاعة وشرب الخمر حتى السكر مع الحبيب على أصوات الموسيقى وغناء الطيور وبخاصة أم الحسن وهى طائر مشهور فى المغرب بالترديد العذب والتطريب الحنون .

***

ويستوقفنا هذا الزجل بلغته التى تكاد تسلم من الخطأ :

بأبى ظبى ربربى أخجَلَ الشَّمسَ والقَمَرْ
من بنى التُّرك أشنبى قد حوى الحُسْنَ وافتَخَرْ
كم عشيق به سُبِبِى لازم النَّحْبَ والسَّهَرْ
مائسْ قده القَويمْ كاملْ الزينِ مُبْتَهِجْ
ناحلَ خَصْرِه الهضيمْ واللواحظْ بهمْ دَعَجْ

ص ١٥٤ — ١٥٥

الزجال المجهول هنا يصف المفاتن الجسدية لحبيبه ، وهو اذ يفتديه بأبيه يلفتنا الى ما شاع واشتهر من جمال نساء الترك ، ومعلوم أن تلمسان سقطت فى أيدى الأتراك العثمانيين سنة ٩٥٣ هـ ، وقد ظلت تحت حكمهم الى أن استولى عليها الفرنسيون سنة ١٩٣٠ م .

واذن فاعجاب الزجال بجمال المرأة التركية اعجاب فى محله وعن بينة .

***

ولا نعدم بين أزجال هذا القسم غزلا عفا يشبه أن يكون غزلا صوفيا مثل :

يا عاشقْ هذا النَّوى يومَ بتاذوا أحبَّتى
ذابَ ذا القلبْ وانكَوى واشتعلَتْ نيرانْ زفرتى

يا أخي صابني الهوى ... عيد لي يا لله اش حيلتي
أنى بربي منتصر ... ومن قصده ما يخيب
طال بي هذا الأمر ... واوتحش قلبي للحبيب
يا كريم عقلي صار يغيب ... واوتحش قلبي للحمى

ص ١٦٣ - ١٦٤

***

ومثل :

يبلغ الى أهل الديار ... منى السلام
وقل لهم : الانتظار ... زادني هيام
مالي على الهجر اصطبار ... أو لا مَلام
جرى عليّ في المغيب ... حكمُ القدَر
ما كنت تطلب يا رقيب ... اليوم حضر

ص ١٧٤

وهو زجل سليم من بحر الرجز ، ووزنه مستفعلن ثلاث مرات .

***

وهذا زجل في التمني والعتاب :

الله لا يقطع لي نصيب ... حتى تقبل وجنتك
لاش الحبيب ينسى الحبيب ... ما اصعب عليّ فرقك
هذاك جزا قلبي الكئيب ... اللي حصل في عشقتك
أنظر باش بدلتني ... خدت الشمال عوض اليمين
اعلاش غزالي خنتني ... الله يخون الخائنين

ص ١٧٩ - ١٨٠

***

وزجل يصف العشاق بأنهم رقاق النفوس ص ١٨١ - ١٨٣ .

وزجل في وصف مجلس أنس ص ١٨٤ - ١٨٦ .

***

وهذا زجل يتغزل صاحبه فيه بحبيبه غزلا ماديا بحتا ، فهو يصف قده ونهده ويستجديه قبله ثم يعاتبه على صده بقوله :

دعنى نتعذب فى وصلك ... وانجدد فيك ولاعنا
حين نرى قدك ونهدك ... نتسعر من نفر سعنا
هات لى قبلا فى خدك ... يا شبيه ضى الشمعا
ذا النفار واش هكذا يبقى ... متشرقى فى سوء حالى
العاشق يتعب ويشقى ... هذا فى عشقك جرى لى

ص ١٨٨

***

وزجل بعنوان [لاش تنحجب لا تنحجب] ص ١٩٢ .
وزجلان فى وصف الربيع ص ١٩٨ وص ٢٦٠ .

***

وربما كان الزجل المقبل من الغزل بالمذكر وهو :

يا بو العيون النيام ... عذبت قلبى الحزين
تخضع وترعى الذمام ... عمنا كتب فى الجبين
طايع لأمرك يا اغلام ... يا محنة العاشقين
اعطف وكفة الجماح ... تخمد لهيب حر حتى
يا بو العيون الوقاح ... افنيت نا بغيتى

ص ٢٣٨

***

ولا يسعنا فى ختام هذا القسم الا أن ننوه بغزارة مادته وصدق عاطفته وتمام ملاءمته للمتغنين به والمستمعين له .

ومن خصائصه الفنية البارزة :

انسجام نغمه ، وهدوء موسيقاه ، وتنوع الأوتار التى يضرب عليها فى النفس الانسانية .

***

القسم الثالث

الحـــوزى

وقد سبق التعريف به . ومن الملفت للنظر فى هذا القسم أن نصوصه كلها ، وثقة بمعنى أن كل حوزى منسوب الى صاحبه فثلاثة الأحواز الأولى مضافة الى قائلها ابن مسايب وبعدها خمسة أحواز لابن التريكى :

ثم حوزان اثنان لمحمد بن سهله . وحوزى واحد لابنه أبى مدين ·

***

ونظرا لأن هذه الدراسة قد طالت بنا وتجاوزت حدها المرسوم لها ، فاننا سنكتفى بجزء من حوزى واحد لكل مؤلف ·

ويسهل تقبل ذلك اذا علمنا أن الأحواز فى ذاتها طويلة بشكل واضح ·

أولا : ابن مسايب

وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مسايب ، ينتمى الى أسرة أندلسية نزلت مدينة فاس ، ثم استقرت بتلمسان التى ولد بها فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى الثامن عشر الميلادى ·

وقد عرف عنه حبه الأكيد لتلمسان وحزنه الشديد على ما أصابها من نكبات وكوارث ·

ومع أن أول أحوازه فى تمجيدها والوقوف عندها بكاء على أطلالها . الا أننا سنتجاوزه الى حوزه الثالث ، فهو يدل على اقتداره العجيب فى الصنعة ·

واذا كنا قد أعجبنا فى القسم الثانى بزجل مشتمل على الحروف الهجائية بمعدل شطرة واحدة لكل حرف ، فاننا هنا نجد أن الابجدية العربية قد ظهرت بخمس وثلاثين مقطوعة بمعدل مقطوعة لكل حرف ، وكل مقطوعة يتان تليهما لازمة ثابتة هى [يا الوشام] وهى هى عنوان الحوزى مع ملاحظة انه قدم للحوزى بمقطوعة مزدوجة وانه احتفل بحرف الألف فخصه بأربع مقطوعات ، ربما لأنه الحرف الأول . ولكل أول أعزاز ·

قالى :

يَا الوشّامْ

يا الوشّامْ دخيـــلْ اعليك　　كـــن حازرْ فَاهمْ نوصيكْ
اخْفَض والخَفض ايواتيكْ　　أو رطّبْ بدكْ لا تَاذيهـا
يا الوشام أو شَـــمْ ولنفِى　　شِىأو شَام اظْرِيفْ الكَف
أو رتّب احروفاهجا وصفى　　فى المراتَبْ واهنداهـَـــا

يَا الوشّامْ

دير أَلِف : أَلَفْ مِيتَـــا　　مِنَ العُرب وانجوعْ أقويَا
أو رَكّبْ امحَال الونديَا　　أو جَانبهَا البَاى أو جَابِها

يَا الوشّامْ

أعمل أَلِفْ أَلفِينْ ازنَاد　　واعمَلْ اعسَاكَر والقَيّاد
والطبُـــولْ اترعَدْ تَرعادْ　　والخَيْولْ اتشَالِ لِيهـا

يَا الوشّامْ

أعمل أَلِفْ أَلَفْ مركُوب　　حَربَتْ لِلمِيدان احْروبْ
واهنلهَـا ما يَرضَـاوا اهـروب
كُلْ يُومْ أقمَـــرْ تَجلبهـــا

يَا الوشّامْ

اعمـــل الِف اجننـــح مغنِـــى
وام لحسَنْ واطنيـــورْ اخـــرينْ
امنِين يَنطقُـــوا ابصَوتْ احنِينْ
اينهَـَائُوا لدنيَـــا واهنليهـــا

يَا الوشَّامْ

دير البَا : بَهْجَةْ الأسرار

فالمَتْبَع وامنازَه وادْيارْ

او حصَّن البِيبانْ أو الأصوارْ

واعمل العَسَّا تَحْضِيها

يَا الوشَّامْ

الوشام : صانع الوشم وهو زرع اللون الأخضر نقطا أو رسما أو اسما فى مواضع معينة من جلد الانسان ٠

اخفض : كن معتدلا فى الأجر ٠ الخفض = الغنى ٠ رطب يدك = خفف يدك فى الصنعة بحيث لا تؤلم من تشمهم وبخاصة حبيبتى فلا تؤذى يدها وأنت تمارس وشمها ٠

شى أوشام : بعض الأوشام التى تجعل كف وليفى ظريفا ٠

أو رتب حروف اهجا وصفو : يعطيه التسلسل الأبجدى ليكتببمقتضاه ويهتدى بهديه ٠

النجوع = جمع نجع والنجع : المكان فيه الكلأ ينتجعه الرجال الأقوياء أى يقصدونه نشدانا لما فيه من مرعى لأنعامهم ٠

امحال الونديا : أماكن العساكر الوندالين أى ارسمهم فى حالة استعراض السلطان لهم ورده على تحيتهم ٠ ازناد : بنادق : مجاز مرسل علاقته الجزئية ٠

الطبول اترعد ترعاد : ترعد ارعادا اى تصدر أصواتا عالية كالرعد ٠
والخيول اتشالى ليها : ترقص والمقصود هنا تقفز على وقعها ٠
مركوب : ما يركب من أفراس وجمال ونحوها ٠
حربت للميدان احروب : حاربت فى المعارك حروبا كثيرة عظيمة ٠
وأهلها ما يرضاوا هروب ٠٠٠ : وفرسانها لا يهربون وكل يوم يبرز من بينهم بطل معلم يحسه كل الناس كأنه القمر ليلة تمامه ٠ جناح = طائر : مجاز مرسل علاقته الجزئية ٠

مقنين : طائر مغرد · أم الحسن : البلبل ·

امنين ينطقوا ···· : كلما غردوا بصوت حنون هيجوا الدنيا واهلها الى درجة الافتنان بها وفقد الاتزان معها كأنهم جنوا ·

الأسرار : الأرواح · فالمتع : المتع · وامنازه : المنازه أى المتنزهات من حدائق ومياه جارية وأودية خضراء · واديار : والديار : جمع دار ·

العسا : العسس · تخطيها = تحرصها ·
وابن مسايب هنا ينصح الوشام بأن يكون حذرا وماهرا فى صنعته كى تكون متقنة ومريحة ·

وبأن يكون معتدلا فى تقدير أجره · ويعده بأنه ان فعل ذلك ، فان عملاءه سيكثرون · ويكون ذلك سببا فى غناه وخفض عيشه وينادية ليوصيه بأن يشم وليفه على كفه وشما جميلا دون أن يؤلمه ثم يطلب منه أن يرصده وهو يسجل بحوزه حروف الهجاء مرتبة ليعرف تسلسلها أولا وليستوحى مقطوعاته فى صوره ثانيا ·

الألف :

ارسم ألف مائة عربى ينتمون الى النجوع المشهورة بالبأس والقوة ·
و ركب صورة تمثل الجنود الوندالبين وهم فى أماكن تجمعهم يعظمون السلطان والسلطان يعظمهم أى اعمل صورة لجيش عربى أو أجنبى ·

والألف يمكن أن تكون طرة لصورة مكونة من ألفى بندقية ومن جيش كامل بعساكره وقواده ·

كما يمكن أن تكون طرة لصورة مكونة من ألف فرس حاربت حروبا هائلة وهى تثب من فوق الأرض بفعل الطبول التى تصدر أصواتا كالرعد ·

أما فرسانها فشجعان يقدمون ولا يحجمون ، وكل يوم يخرج من بين صفوفهم بطل ·

ويدله على أنه يمكنه أن يرسم العديد من الطيور التى تفتن الدنيا وأهلها بأصواتها الحلوة ·

تلك كانت مقطوعات الآلف ·

أما مقطوعة الباء فمعناها : أن بهجة الأرواح وفرحتها تكمن فى المتع التى تكون اطرها المنازه والدور مع الشعور بالأمن ، ومن أجـل هذا يجب تحصين الأبواب والأسوار واقامة العسس للحراسة ·

***

ثانيا : أحمد التريكى

ولد بتلمسان وعاش فيها وتوفى بها أوائل القرن الثانى عشر الهجرى·

وقد سبق أن قلنا : انه الى الظرفاء اقرب منه الى الأولياء ، بسبب غزله المكشوف الذى جعل أهل تلمسان يتظاهرون ضده ويطالبون بنفيه وقد استجيب لهم حتى لا يفسد أخلاقهم وأخلاق بناتهم وأبنائهم ·

وهذا الحوزى له وعلى وجه التحديد : الجزء الذى سنورده منـــه موضوعه : الشكوى مما يلاقيه من حب وعذل ·

وهو فيه يحلم بالهناء واللعب والانبساط مع الحبيب بعـد أن يلبسه أغلى الثياب ويحميه من أية مشقة ومن أى عذاب ·

وانه ليأمل أن تتحقق له هذه السعادة فى اطار من الجمال المسموع المتمثل فى موسيقى الطيور الباغمة كالضبا والفخوتوالأوز والحمامواليمام.

والجمال المرئى المتمثل فى الزهور من ورد ونسرين ونعناع ·

لكنه يصحو من حلمه الحلو على واقعه المر وهو الحرمان الأليمفيعترف بأنه ابتلى **بما لم يبتل أحد به من حرقة ولوعة وأسى** · وبأنه هو الذى ألقى بنفسه الى التهلكة : فرجله هى التى مشت به فى طريق حبه ، وعينه هى التى اكتشفت جمال محبوبه ، وبسبب معشوقه الذى لا صبر له على فراقه أهدر درسه ونسى لوحه وقرآنه ·

***

ولندعه هو يتكلم ، قال بعنوان :

[فيق يا نايم]

فِيقْ يَا نايمْ واستَيْقَظ مِنْ المنَام
واستَغْنَى لكلامى يا خَاىْ وافهمُوا
صاد قلبى مُحْنَا واعذابْ وانتقامْ
ما قَوِيتْ اعلى هذا السِّر نَكتمُوا
يا ابْنَاتْ البَهْجَا كَفُّوا مِنْ الملامْ
سَلَّمُوا لَلْمَشْور فى الزينْ سلّموا
ياابْنَاتْ البهجا كَفُّوا مِنْ الخطَاب
يَستحَق الزين أيكون امْواجبُوا
حُسْن كامَل واهْنا والبَسط ولعَاب
واللَّبَاسْ الغَالِى ومَا ابْنَا سبُوا
ما ايْخاف امْشَقَّا ما يوصلُوا عذاب
فى قَبَبْ وامْعَادى بالما ايْسَيِّبُوا
والضَّباوالوزْ اوفَاخَتْ امْعَ الحمام
واليَمامْ ايْنَادى واطْبُور يَبْغمُوا
والزهَر والنَّسْرى والورد فى ابْنسام
والحبَقْ والخِيلِى باللِّيمْ يرجْمُوا
سلمَوا يَا الاريام الكُل سَلَّمُوا
يا بنات البَهْجا صادفْتْ وابْتليتْ
ولا ايْتلَى حَدْ ا بنِيرانى اوْ ليعْتِى
راد لى الله واكْتَب لى بالرجل مشيتْ
راو عينيَا تَهْوالى او كَيْتِى
ضَاعْ صَبرى ودرتْ اجْمِيع ماقريت
مَنْ اهوى ذالهِيفَات انسِيتْ لُوحتى

وأعتذر عن هذا الطول فى التمثيل بأن عدد أبيات الحوزى الذى أوردت هنا صدره اثنان وسبعون بيتا عدا اللازمة التى كان يجعلها [سلموا يا الاريام الكل سلموا]

ـ كما هنا ـ مرة ، و [سلموا يا الاريام فى الزين سلموا]مرة أخرى على التوالى ، الى أن كانت المرة الأخيرة فجعلها

سلمـوا للمَشور فى الزين سلمـوا

المشور : هو الموكب الحـافل بالمشاهد الجميلة كموكب الملك وموكب العرس ٠

ومعنى اللازمة الخاتمة على هذا : أنه يطلب من الفتيات الجميـلات المنافسات لمحبوبته عنده أن يسلمن لها بالغلبة على قلبه ٠

***

ولفهم هذا النص أكثر نعطى معانى مفرداته الصعبة وجملة الغامضة :
استغى لكلامى يا خاى : أصغ لكلامى يا أخى ٠

٨٩ محنا : محنة ٠

بنات البهجـا : هن بنات الجزائر العاصمة ، وكبنـات كل حاضرة الشأن فيهن أن يكن جميلات أو على الأقل يغلب عليهن الجمال ٠

المشور ـ كما قلنا ـ هو الموكب الحافل بالمشاهد المثيرة كموكب السلطان وموكب الفرح : أى لا تجازفن يا بنات الحـاضرة بالدخول فى تنافس مع حبيبتى فطريقها الى قلبى اقصر من طريقكن ٠

كفوا عن الخطاب : لا تدخلوا معى فى حوار من أجل موقفى من حبيبى وهو موقف الميل اليه والحب له دونكن ٠

يستحق الزين ايكون امواجبوا : فحبيبى المليح جدير بحبى له وانعطافى نحوه ومبررات ذلك حسنه الكامل وما أرجوه معه من هناء ولعب وانبساط؛ ومن أجل هذا اشتريت له اللباس الغالى الثمين ، وأرى مع ذلك أنه أقل منه ولا يناسبه ٠

ما يخاف مشقا ما يوصلوا عذاب : وسأضمن له الأمان من الزمان فلن يخاف مشقة ولن يصل اليه عذاب ٠

فى قبب ومعادى الما ايسيبوا : وسألتقى به فى الخيمات المقامة عند المياه الجارية حيث الطيور الباغمة المغردة ، والجو العطر بالورود والزهور والنسرين والحبق (النعناع) والليمون ٠

الاريام : الظباء : استعارة تصريحية ·

ابتليت : امتحنت · ليعتى : لوعتى وأسای ·

راو عينيا تهو الى اوكيتى : اشهدكم على أن عينى هى التى رأت حسن حبيبى فأوقعتنى فى حبه الذى اكتويت بناره ·

ودرت : أهدرت ما تعلمته بسبب حبى لذلك الأهيف الجميل ·
انسيت لوحتى : نسيت قرآنى الذى كنت قد كتبتـــه فى لوحى ثم حفظته ·

ثالثا : محمد بن سهلة

كان من الشعراء المشهورين بتلمسان وقد غلب على شعره الغزل الى ان توفى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ·

وحوزيه الذى سنورد هنا صدره بعنوان :

خاطرى بالجفا اتعذب

قال :

خاطرى بالجفـا اتعـذب · لَيْتَـا يَنْسى الغـزال ·
مسْبوغَة الانجال ·
نارها فالدليـــل تَلْهَب · حَرقَت جَوفى او جَيَّحت ·
غُصـنى وادبـال ·
ما صُبْت اطْبيب · للغْزال اعْييت اَنْسَـــال ·
قَلْبى مَمْحون · بالغْـرام ومَرضِـى طَـــال ·
اسْـبَابى فَاطْمَـا امْنَيَّنْت · الخَلْخَـال ·
آش ادوَاه · يـا الطَّـالَب ·
غَـــاب · ادوَاه · يـا الطَّـالَب

آلطَّـــالَبْ عِيـــدْ لِي الرِّيِّى
اَمْـــرِيضْ الحُب بَـــاشْ يَبْـــرَا
غَابْ ادوايَـــا أو غـــــاب طبِّى
افْنِيتْ او لاَ وجَـــدتْ صَـــبْرا
عَمْـــدا لِى يَـــا طبِيبْ فَـــلْبِى
ضَمْـــرتْ لِى فَالدلِيلْ جَمْـــرَا
كَـــانْ انتِيَـــا لَبِيبْ جِـــربِى
سَبَّبْ لِى وافْهَـــمْ الِيَشَـــارا
شُـــوفْ لِى فَالكِتَابْ واحْسَبْ
كان انتِيَا اطْنفِيت مَنى ذا المشْعال
ذاكْ اللِّى شَـــرَطْتْ واجَـــبْ
نَضحى عَندك أخْديم مملوك ابلا مال

ص ٣٧١ ـ ١٩٧٣

***

انتهى ما أردنا اثباته من الحرزى الأول لمحمد بن سهلة ·
وهذا هو شرحه تفصيلا أولا واجمالا ثانيا ·
خاطرى : بالى أى قلبى ·

لبا : أبى ولم يرد نسيان حبيبتى التى تشبه الغزال الأكحل فى دعج العينين ونجلهما ·

نارها فالدليل تلهب : نار حبها فى قلبى تشتعل ·
ما صبت : ما أصبت أى ما وجدت مع أننى تعبت من السؤال ·
قلبى ممحون بالغرام : قلبى فى محنة من حبى ·

أسبابى فاطما امنيلت الخلخال : الصلات بينى وبين فاطمة هى صلات الحب والعشق من جانبى · وهى فتاة ممتلئة الساقين فخلاخيلها تضغط عليهما وتترك فيهما آثارا زرقاء كالنيلة ·

يمدحها بالسمنة وهو امتداد لقولهم [خرساء الأساور] ·

أش ادواه الطالب : ما دواء قلبى يا طالب ، والطـــالب هو العراف الذى يمارس السحر ، ولا عجب ؛ فالبيئة مغربية ، ونحن فى الشرق نعتقد أن المغاربة هم الأصل فى ذلك ونتتلمذ عليهم فيه وهذا النص يؤكد ذلك ٠

الطالب عيد لى الربى : كرر النظر فى كتبك واستفت نجومك لى من أجل ربى أى وحياة ربى ٠

امريض الحب باش يبرا : هل يشفى المريض بالحب ؟ استفهام بلاغى غرضه التمنى ٠ أو الرجاء ٠

عمدا لى يا طبيب قلبى : أسرع الى وأغثنى يا طبيبى ٠

ضمرت لى فالدليل جمرا : ألقت فاطمة فى قلبى جمرة فاستقرت فى عمق العمق منه وقديما قال كعب بن زهير : [فقلبى اليوم متبول]

كان انتيا لبيب حربى : ان كنت مجربا وماهرا ٠

سبب لى وافهم اليشارا : افهم ما تقوله لك الكتب ، وما تشير به عليك النجوم فى أمرى ، ثم اكتب
شوف لى فالكتاب واحسب : لى حجابا يجعلها تحبنى

كان انتيا أطفيت منى ذا المشعال : فاذا أنت جعلتها تحبنى وتندى نار حبى لها بوصالها والقرب منها ٠

ذاك اللى شرطت واجب : ان أنت نجحت فيما أنت بصـــدده من أمرى فانى سأشترط على نفسى شرطا واجبا على تحقيقه ٠

نضحى عندك اخديم مملوك ابلا مال : أصير خادما عندك ومملوكا لك أى أعمل لديك وأخدمك دون أجر ٠

***

والمعنى الاجمالى هو :

قلبى تعذب بالجفاء لأنه لم يرد نسيان حبيبته التى تشبه بعيونها النجل

الغزال الأكحل ، ولأنه لم ينس فان نار حبه قد التهبت فى قلبه وأحرقتـــه وقيحته حتى ذبل جسمه ·

ولقد أعياه البحث عن طبيب فلم يجد ، وقلبه لهذا فى محنة بغرامه ، وسقامه قد طال ·

ويضيق بكتم سره فيصرح باسم حبيبته ونعرف أنها فاطمة ذات الساقين الممتلئتين ، وخلاخيلها لهذا تترك على بشرتها آثارا زرقاء تشبـــه النيلة وبالاجتهاد فى البحث اهتدى الى عراف أى منجم ، فأخذ يسأله عن دوائه ما هو ؟

ويغلبه اليأس على أمره فيقول : غاب دوائى يا عراف فبالله ساعدنى وأجبنى : هل يشفى مريض الحب ؟

ولم يجد تقدما فى حالته ، فيقول متحيرا : افتقدت الطبيب المعـــالج والدواء الشافى ·

***

ويرى انه قد تحل بعد فقد صبره فيطلب من المنجم أن يعيد النظر فى كتـــابه وأن يكرر سؤال النجوم عن أمره ، ويعقد معه صفقة مضمونها أن يخلصه المنجم من عذابه بجعل فاطمة تحبه وتشفيه من مرضه بوصلهـــا له وقربها منه ·

اذا حقق له المنجم ذلك أضحى خادما عنده ومملوكا له أى عاملا لديه بلا أجر ·

رابعا : بومدين بن محمد بن شهلا

سلك بومدين مسلك أبيه محمد فى نظم الحوزى والاكثار من الغزل وقد برع فى وصف الحبيب ومجـــالس الأنس والطرب وذكر آلام الفراق والهجران ·

فقد بصره فى أخريات عمره ، وتوفى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى · وحوزيه الذى ختم به محمد بن محمد امرابط مجموعه عنوانه :

[سيدى ومن يسال على كحل العين]

وقد صدره بقوله :

سيدى ومَن يسَال اعلَى كحل العين
سيدى ومَن يسَال اعلَى كَحل العين
سيدى ومَن يسَال اعلَى رمقات الغزال
السَاكَن الخلا الأجدل بُو قرنين
سيدى ومن يسال اعلى طالقة الدلال
اخيَر الغزال ولفى كاملة الزين
اللى اضحَات كودا درقَت شَقَّ الجبال
بينَ الحسود ليهَا مَا صبت امنين
لا رصَامنهَا اخلاقى طَار والقَلب مال
والروح والعقَل طَار ابلا جَنحين
خَلاتنى اهبيل نسول بَينَ الرجَال
مَا كَان مَن اعذرنى يا مسلمين

من ٣٨٩ - ٣٩٠

الكحل : سواد منابت شعر الأجفان خلقة ومنه المثل :
« ليس التكحل فى العينين كالكحل » .

رمقات الغزال : نظراته . والغزال هنا هو المحبوب ، فالصورة بلاغية : استعارة تصريحية :

الأجدل : المفتول الفرى الرشيق .
طالقة الدلال : ذات الدلال الآسر الأخاذ فى كل قول لها أو فعل .
اخير الغزال : خير الغزلان .
كاملة الزين : كاملة الحسن .

اللى اضحات كودا : التى صار أمرها صعبا على وعقبة كأداء فى طريق حبى لها .

ورقت شق الجبال : توارت واختبأت فى شقوق الجبال · كناية عن منعتها ·

ما صبت امنين : لم أجد منفذا يوصلنى اليها أو شخصا يدلنى عليها ·

لا ارصامها أخلاقى طار : بسبب جمالها الساحر لم أعد قادرا على التماسك والالتزام بقواعد الأخلاق وآداب السلوك ·

***

ينادى بومدين من سأله عن حبيبه كحيل العين الذى يشبـــه الغزال الرشيق الأنيق ساكن الخلاء ذا القرنين ·

قائلا : سيدى يامن تسأل عن حبيبى صاحب الدلال المفرط والجمـال المطلق ·

انه قد أضحى مستعصيا على بعد أن استعصم منى بسكناه فى شقوق الجبال ، وبعد أن قام حساده بحراسته حتى صار من الصعب على أن أجده أو أصل اليه ·

رسمه الجميل ضيع أخلاقى أى جعلنى ــ وأنا الوقور ــ أفقد توازنى ·
لقد أحببته بكل قلبى ،
وبلا أجنحة حلقت روحى فى أفقه ، وكذلك عقلى ·
آه من حبه الذى هيمنى وجعلنى أهبل لا أتكسب بل أتسول ·
ماذا ؟ أليس فى المسلمين من يعذرنى ؟!!

***

بهذا ينتهى القسم الثالث والأخير من الكتاب وهو الحوزى ·
واذا كانت لنا وقفة عنده أو بعده فلكى نقول :

انه من الأدب الشعبى المغربى فى الصميم ، وبحسبه أنه غطى كثيرا من الحاجات الفنية والذوقية لكثير من الناس ، وأعطى المتعـــة الموسيقية لمنشديه وسامعيه فلهذا ألف ووظف ·

ولقد أدى ما أريد له أن يؤديه فى قلوب وعقول وأرواح سكان تلمسان، لا فى زمن محدد بل فى أزمان متطاولة وممتدة الى الآن ·

وكان الحوزى قد نال شهرة عظيمة فى العهد العثمانى ، واستحوذ على اهتمام المؤلفين والملحنين . فوضعوا القواعد المحكمة لتأليفه وتلحينه بل ولكتابته ·

فضمير الغائب (هـ) تكتب واومد [قبلتو] بدلا من [قبلته] والتاء المربوطة فى آخر المؤنث تكتب ألف مد [فاطما] بدلا من [فاطمة] لبلائم المكتوب المنطوق ·

ونجد ألفا غير مهموزة أمام كثير من كلماته أفعالا كانت أو أسمـــاء أو حروفا ، وهى ألف موسيقية تزاد لتسهيل الانشاد ·

وهذا الخلق للأصوات وتطويل القصير منها يعطى فرصة طيبة للوترين الصوتيين . فهى تسمح لهما بالتذبذب العذب ، والانفتاح الرحب على العديد من الألحان ·

***

وما ذكرناه معناه ان الحوزى لم يكن — فى كتابته — يخضع لقواعد الاملاء ، كذلك لم يكن يلتزم بالقواعد العربية من نحو وصرف وعروض · ثم ان الكلمة أو الجملة فيه قد يكون لها مفهوم خاص لا يدركه الا من له خبرة باللهجة المحلية المغربية ·

***

اما بعـــد :

فهذا عرض وتحليل لكتاب [الجواهر الحسان فى نظم اولياء للمسان] قمت به من موقع العمل فى معهد الاداب والثقافة العربية بجامعة قسنطينة أستاذا زائرا فى ابريل سنه ١٩٧٨ ·

خدمة للتراث الأدبى فى المغرب العربى ، ووصولا به وبفحواه الى كل محب له ، وراغب فى التعرف عليه والاستزادة منه ·

***

أجزل الشـــكر وأعمق التقـــدير للأستاذ الفاضل والعـــالم المحقق عبد الحميد حاجيات ·

على اظهاره هذا الكتاب **القيم بالمظهر اللائق** ·

تنفيذ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر المحمية سنة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م ·

وفى الحق انه أثرى به وبغيره مما حققه أو ألفه **مكتبتنا العربية فى** المغرب والمشرق ·

جزاه الله عن جهوده العلمية المخلصة خير الجزاء ، آمين ·

د · عبده عبد العزيز قلقيله

قسنطينة فى ١٩٧٨/٤/٢٧

***